السلطان مصطفى الرابع

فترة الحكم: ١٨٠٧–١٨٠٨

السلطان العثماني التاسع والعشرون

اسم الأب: عبد الحميد الأول

اسم الأم: السلطانة الوالدة عائشة سينه بَرْوَرْ

محل وتاريخ الميلاد: إسطنبول،
٨ سبتمبر/أيلول عام ١٧٧٩

العمر عند اعتلاء العرش: ٢٨ عاما

سبب وتاريخ الوفاة: الخنق،
١٧ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٨٠٨

مكان الوفاة وموقع القبر: إسطنبول،
ودفن في المقبرة الحميدية في "باهْجه كابِي"، بإسطنبول

أبناؤه: لم ينجب ذكرا

بناته: أمينة سلطان

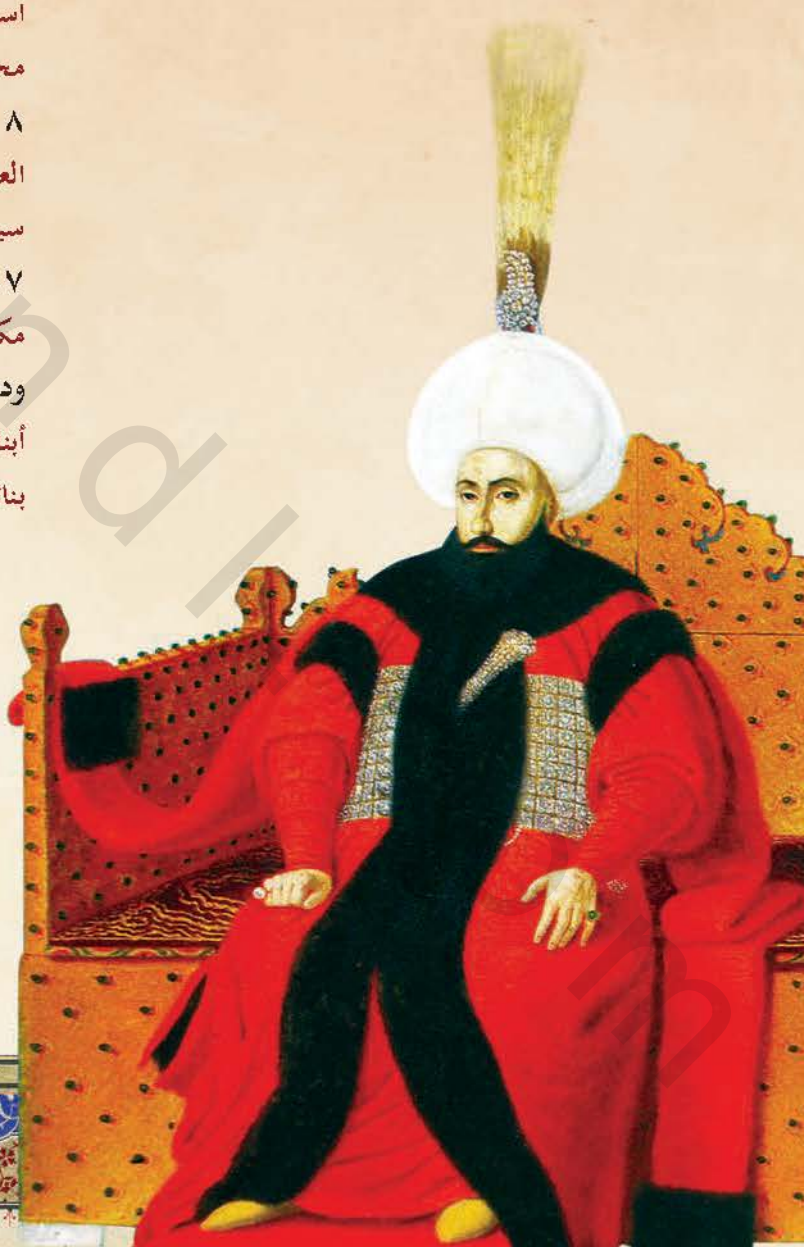

لوحة بألوان الكواش (الغواش) تصوّر السلطان مراد الرابع جالسا على العرش.

اعتلى السلطان مصطفى الرابع العرش بعدما أطاح تمرد قَاباقْجِي بعمه السلطان سليم الثالث.

عاش مصطفى الرابع طفولة مريحة؛ فكان يطوف هو وشقيقه محمود الثاني جميع أنحاء إسطنبول متخفين بصحبة عمهما السلطان سليم الثالث، الذي لم يكن له أولاد، والذي كان شديد الرعاية والاعتناء بهما.

التقى السلطان مصطفى الرابع بالمتمردين بعد ذلك بوقت قصير. وعندما وعدوه بأن الانكشارية لن يتدخلوا بعد الآن في شؤون الدولة، تعهد لهم بإصدار عفو يستفيدون منه. غير أنه كان من المستحيل تصور أن هؤلاء الذين يتمتعون بالسلطة الكافية لاستبدال السلطان يمكن أن يتنحوا جانبا ولا يتدخلوا في شؤون الدولة. وقد تواصلت خلال فترة حكم السلطان مصطفى الرابع الفوضى السياسية والاضطراب الاجتماعي الناتج عن غطرسة المتمردين وتدخلهم في الشؤون الحكومية، وكذلك عن الصراع بين مؤيدي الإصلاحات ومعارضيها. وقد ظهر في النهاية شعور بالندم لإحلال السلطان مصطفى الرابع محل السلطان سليم الثالث.

وانتشرت الفوضى حتى في صفوف الجيش الذي كان يخوض الحرب الجارية ضد الروس، والتي بدأت خلال فترة حكم السلطان سليم الثالث. ونتيجة لهذا بدأت تظهر على الجيش علامات الضعف.

وكان موسى باشا، ممثل الصدر الأعظم في إسطنبول خلال وجوده الأخير في إحدى الحملات، وقاضي القضاة عطا الله محمد أفندي، متورطَين بالفعل في التمرد الذي قاده "قَاباقْجِي مصطفى"، ولهذا لم ينجحا في إحلال السلام والنظام في إسطنبول.

وساعد قدوم "عَلَمدار مصطفى باشا" وجيشِه من روسيا إلى إسطنبول في استعادة الأمن. فأُعدم "قَاباقْجِي مصطفى"، بينما عُزِل عطا الله محمد أفندي من منصبه.

وكان أتباع "عَلَمْدار مصطفى باشا" يريدون إعادة السلطان سليم الثالث إلى العرش، في حين كان أتباع مصطفى الرابع يبحثون عن طريقة لقتله.

وعندما وصل مسار الأحداث إلى تعريض حياة سليم الثالث للخطر هرع عَلَمدار مصطفى باشا إلى الباب العالي،[٢٩] واعتقل الصدر الأعظم، وتحرك باتجاه القصر بهدف إعادة سليم الثالث إلى العرش.

وبعدما طالب عَلَمدار مصطفى باشا السلطان مصطفى الرابع بالتنحي عن العرش والسماح بعودة سليم الثالث، قام مصطفى الرابع بإغلاق بوابات القصر، وأمر بقتل سليم الثالث والأمير محمود لإنهاء الاضطراب الجاري. واستطاع عَلَمدار

[٢٩] استخدم تعبير "الباب العالي" للإشارة إلى العاصمة العثمانية والحكومة وللمباني التابعة للحكومة العليا داخل القصر، حيث كان يجري هناك وضع سياسات الحكومة العثمانية.

طغراء السلطان مصطفى الرابع

مصطفى باشا دخول القصر بالقوة، لكنه لم يجد سوى جثة السلطان السابق، كما عثر على الأمير محمود الثاني جريحا، فأنقذه ودعمه. وتم خلع السلطان مصطفى الرابع وتولية الأمير محمود الثاني، الذي كان الوريث الوحيد للعرش في عام ١٨٠٨. وأصبح عَلَمدار مصطفى باشا الصدر الأعظم له.

كانت فترة حكم السلطان مصطفى الرابع من أقصر فترات الحكم في التاريخ العثماني حيث إنه حكم لمدة أربعة عشر شهرا فقط.

ورغم أنه احتُجز في غرفته بعد ذلك فإنه تطلع للعودة إلى العرش، وبعث برسائل إلى رجاله خارج القصر. وتعرض الصدر الأعظم عَلَمدار مصطفى باشا في أعقاب ذلك للاغتيال خلال غارة قام بها متمردون. وأراد المتمردون التحرك نحو القصر، ولكن حدث في ذلك الوقت أن صدر أمر بقتله مثلما فعل هو في السابق مع شقيقه وعمه سليم الثالث.

وتروي السجلات التاريخية أن مصطفى الرابع منذ سنوات إمارته، وكذلك شقيقته "أسماء سلطان"، كانا ضمن معسكر المعارضة الذي كان ينتقد السلطان سليم الثالث ويسعى لخلعه

وتذهب العديد من المصادر المعاصرة إلى استخدام كلمات مهينة واتهامات شديدة في دراستها للسلطان مصطفى الرابع. لكن الحرب الروسية استمرت خلال فترة حكمه، كما استمر تمرد قَباقْجِي مصطفى قائما، وكانت الأنشطة السياسية والعسكرية لعَلَمدار مصطفى باشا قوية بدرجة لا يمكن تجاهلها. وإذا أُخذ كل هذا في الاعتبار سيبدو أن السلطان لم يكن لديه الوقت الكافي لتنفيذ الأجندة الإصلاحية التي كان قد بدأها عمه السلطان سليم الثالث.

كان السلطان مصطفى الرابع شديد الصرامة في معاقبة المذنبين بتهم إحداث الاضطراب أو إعلان مظاهر الفساد والفسوق في المدينة، حتى لو كان من جنود الانكشارية. وواصل مصطفى الرابع استخدام بعض رجال الدولة الجيدين الذين ظلوا بعد عهد عمه، وقد رجع ذلك في الأساس إلى أنه كان يفتقر إلى وجود الرجال القادرين ليعملوا إلى جواره. وبالإضافة إلى هذا فقد أعد مصطفى الرابع خططا لتدريب الجنود في ثكنات المدفعية بمنطقة تقسيم في إسطنبول بالطرق المناسبة والحديثة، كما أنه كان مهتما للغاية بوضع مدرسة الهندسة المؤسسة حديثا. وإذا وضع هذا جنبا إلى جنب فإن الأدلة ستشير بقوة إلى أن السلطان مصطفى الرابع كان قد خطط للمضي قدما في الإصلاحات التي مهد لها عمه السلطان سليم الثالث.

منظر للحجرة الخاصة بالسلطان سليم الأول من الشرفة الرخامية لجناح عثمان الثالث بقصر "طوب قابي"